

الصورة. ويشير اتجاه السهم إلى الاتجاه الذي يأخذه الذهن في توليد العناصر الغائبة من العناصر الحاضرة لاستكمال ذلك التناظر، فالذهن البشري يميل دائماً إلى استكمال الناقص باعتماد ما هو مخزون فيه أو مدرك إدراكاً آتياً (خذ مثلاً خطأً دائرياً غير منغلق تجده دائرة كاملة، وإن كانت تطلب أن تكتمل، ويتم ذلك بالقياس على شكل الدائرة المجرد الكامن في الذهن). وتمكن هذه الملكة من تبليغ الكثير من المعاني بالقليل من الألفاظ، ولكنها في نص شعري ذات وظيفة أخرى هي توريث المتقبل في عملية الإبداع بتشريكه فيها.

فالتفاهم يقوم على توفر عناصر الفهم بالتساوي عند الباث مركباً وعند السامع مفككاً. ولا يهم شكل ذلك التوفر إذا ما لم يضر بالدلالة. ويعمل الباث على توفيره لأنه وحده يعلم كل شيء عن موضوع كلامه ويحكم مقدار المعلومات التي يبلغها سامعه ونوعها. وللكلام وجهان: وجه حسي دال ووجه المدلول. ينطلق المتكلم من فكرة في ذهنه فينشئ كلاماً يحمل تلك الفكرة ويتلقاه سامعه فتتحول تلك المادة الصوتية إلى فكرة في ذهنه، وشرط التواصل أن يطابق المعنى عند الباث المعنى عند المتقبل:

| | |
|------------------|----------------|
| الباث | المتقبل |
| تركيب | تفكيك |
| المعنى اللفظ ← | اللفظ المعنى |

فالحذف أو الغياب يمسّ اللفظ أي الشكل الصوتي (أو ما يطلق عليه البنية السطحية) دون المعنى، بل ذاك شرط جوازه. والتشبيه التمثيل يقوم على هذه الظاهرة من جملة ما يقوم عليه.

وهذا الحذف لا يمس العناصر الأساسية في الصورة، ولذلك توفر لفظ المشبّه «القواقع» ولفظ المشبّه بهما «حصباء درّ» و«ترك»، ولكنه ممكن في العناصر الثانوية التي تتعلّق بتلك العناصر الأساسية، ولذلك غابت صفات من قبيل «صغرى وكبرى» وغيرهما كما يظهر ذلك في الجدول (1).

فكان التشبيه التمثيل يقوم على مرأتين تعكس الواحدة منهما ما يوجد في الأخرى فينتقل الذهن ويتردد في ذبذبة سريعة بين جزئيات كل من طرفي التشبيه راتقاً الفراغ وبانياً للصورة وإن كان مفككاً لها:

فقد ذكر أبو نواس أحجام القواقع «صغرى وكبرى» وسكت عن أحجام الدرّ لأنها تتولد من مدلول كلمة «حصباء» دلالة تضمن إذ تختلف الحصباء أو الحصى في أحجامها